

قراهم المهدة بالسقوط، كما اعتذرت حتى عن البقاء في موقعها لتأمين خط اتصال يافا بالخارج، وانسحبت من موقعها، فانتشر الذعر بين السكان وسارع اهالي يازور وبيت دجن والسافرية الى اخلاء قراهم.

اعطى عادل نجم الدين اوامره لقوته بالانسحاب بعد وصول ميشيل العيسى قائدا مسؤولا، ولم يكتف بذلك بل جمع السلاح وحاول الخروج بالمصفحات التي اشتراها السكان بأموالهم، فاطلق شباب المدينة عليهم النار مما دعا القائد الى الاكتفاء بالانسحاب برجاله وأسلحتهم في ٣٠ نيسان (ابريل)، وما ان شاهد الاهالي انسحابهم، وما ان علموا بسقوط يازور حتى تهاوتوا على النزوح اكثر من ذي قبل. تعرضت المدينة للسلب، ولم يستطع ميشيل العيسى السيطرة على الموقف وخاصة بعد ان انقطع التموين، فأرسل برقية الى القاوقجي والى اللجنة العسكرية يخبرهما ان الحامية انهارت فلا بد من جيش نظامي ليدعمها، وان سيل الرحيل متواصل وعجز، فقد رحل عن المدينة ثمانون بالمائة من اهلها، وتوالى برقيات العيسى وكلها تلح على طلب التعليمات الواضحة والمستعجلة*. ولما لم تصل التعليمات الواضحة والمستعجلة سلم بقية المناضلين اسلحتهم للرئيس ميشيل العيسى ونجوا بأنفسهم. (٢٤٨) شعر رجال يافا بالخطر المحدق بمدنيتهم قبل سقوطها، وقد حاولوا في الشهر الاخير مرات اخيرة الاتصال بالزعماء والمسؤولين العرب، ولكن دون جدوى، فقد توجه وفد منهم الى عمان وقابل الملك عبد الله، ولكنه رفض التدخل قبل الخامس عشر من ايار (مايو) (٢٤٩)، كما توجهت وفود اخرى الى دمشق، فذهب عبد الله الناقا وصلاح الناظر ومحمد سليم ابولين لمقابلة اللجنة العسكرية ثم عادوا بلا جدوى. وذهب خطيب جامع يافا الكبير محمد فوزي الامام وقابل العميد طه الهاشمي والعقيد محمود الهندي وعاد بلا جدوى (٢٥٠). وأرسلت الجبهة الوطنية حكمت التاجي الفاروقي وهاشم السبع فوعدهما جميل مردم بك ببذل الجهود، واعتذر العميد طه الهاشمي بسبب قلة الامكانيات، وشرح احمد الشرباتي وزير الدفاع استحالة الدفاع عن يافا من وجهة نظر حربية لانها محاطة باليهود من جميع اطرافها ولان البقاء فيها يتطلب جيشا كبيرا ومواصلات مأمونة. عاد الوفد ليبلغ اخوانه في الجبهة الوطنية نتائج اللقاءات فانقسمت الآراء، وخلال شهر واحد كانت المدينة قد اصبحت شبه خالية من السكان. (٢٥١)

عقد الاجتماع السياسي والاخير في الثلاثين من نيسان (ابريل) في منزل محمد عبد الرحيم بحضور

* راجع الوثيقة رقم (٦٨)، «برقيات الرئيس ميشال العيسى أمر حامية يافا للقائد فوزي القاوقجي وللجنة العسكرية»، نيسان - ايار (ابريل - مايو) ١٩٤٨.

(٢٤٨) راجع: محمود فهمي درويش، كارثة فلسطين، ص ٩٥ - ٩٩.
(٢٤٩) عارف العارف، النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ١٩٤٧ - ١٩٥٢، الجزء الأول، ص ٢٥٣ - ٢٥٤.
(٢٥٠) محمود فهمي درويش، كارثة فلسطين، ص ٩٥.
(٢٥١) هاشم السبع، ذكريات صحفي مضطهد، الجزء الأول، ص ٥٢ - ٥٣.

ميشيل العيسى وممثلين عن جميع الطوائف والهيئات، فأثر الجميع الاستمرار في القتال، الا ان ميشيل العيسى نصح المقاتلين بالانسحاب، اذ لم يعد هناك ذخيرة ولا سلاح. في الثالث من ايار (مايو) تألفت لجنة الطوارئ من احمد عبد الرحيم واحمد ابولين وصلاح الناظر وامين اندراوس، وقد سلم حاكم اللواء مفاتيح الدوائر الرسمية للجنة بعد ان كان رئيس البلدية قد ترك المدينة. (٢٥٢)

في التاسع من ايار (مايو) وجهت لجنة الطوارئ رسالة الى حاكم منطقة يافا تعلن فيها «ان المدينة سوف لا تستعمل للاعمال العسكرية» وتطلب من الحكومة تعميم ذلك بشتى وسائل الاعلام*. وفي الثالث عشر من ايار (مايو) وقعت لجنة الطوارئ وثيقة تسليم يافا في قيادة الهاغاناه في منطقة تل ابيب**. واصدر قائد الهاغاناه في اليوم نفسه تعليمات للسكان العرب من اثني عشر بندا أمل فيها اوامره بتسليم الاسلحة، واطلق تهديداته ضد «الذين يمكن ان يشكلوا خطرا على السلم والسلام». (٢٥٣) قبل اسبوعين من اصدار هذه التعليمات كانت الهاغاناه تلح على الجيش البريطاني بالتوسط لدى جيش الانقاذ كي تكف مدفعيته عن ضرب تل ابيب من يازور، وقد توسط الجيش البريطاني، ووافق جيش الانقاذ على ايقاف المدفعية تحت شعار «الهدنة بين الفريقين»، ثم انسحبت قوة المدفعية نهائيا من يازور. ولما لم تعد هناك مدفعية تقصف، ولما لم يعد هناك سلاح، ولما لم يعد هناك مقاتلون، املت الهاغاناه شروطها واصدرت اوامرها. (٢٥٤)

هكذا سقطت يافا التي كانت طوال عهد الانتداب اكثر مدينة يخشى منها اليهود، وفي القتال الاخير اعترف مناحم بيغن ببطولة شبابها فقال: «بأن القناصين العرب كانوا يرسلون الموت الى كل مكان» (٢٥٥). وحين وقعت لجنة الطوارئ على تسليم المدينة، لم يكن هناك ممثل واحد عن القيادة السياسية العليا ولا عن القيادة العسكرية العليا للتوقيع، فكلتا القيادتين بريئة من دم يعقوب. القيادة السياسية تكتفي بأن تقول لا ثم لا، من غير ان تدعم موقفها بالوسائل الممكنة لمتابعة الصمود، والقيادة العسكرية ترسل البرقيات الحماسية كبرقية طه الهاشمي: «النجدة في الطريق، اثبتوا في مراكزكم، ولقد اتبعناكم بالقاوقجي وأمرنا

(٢٥٢) عارف العارف، النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ١٩٤٧ - ١٩٥٢، الجزء الأول، ص ٢٦٤.
* راجع الوثيقة رقم (٦٩)، «رسالة لجنة الطوارئ بيافا الى حاكم المنطقة - ١٩٤٨».

** راجع الوثيقة رقم (٧٠)، «وثيقة تسليم يافا - ١٩٤٨».
(٢٥٣) راجع: «تعليمات للسكان العرب من قائد الهاغاناه»، منطقة تل ابيب: ١٣ ايار (مايو) ١٩٤٨، في: هاشم السبع، ذكريات صحفي مضطهد، الجزء الأول، ص ٤٩ - ٥٠.

(٢٥٤) عارف العارف، النكبة: نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود ١٩٤٧ - ١٩٥٢، الجزء الأول، ص ٢٥٧ (روى هذا السبب المقدم محمد صالح العاني أحد قادة جيش الانقاذ).

(٢٥٥) نقلا عن: المصدر نفسه، ص ٢٣٤.